قيد التصوير

جود سعيد تحت «مطر حمص»

دمشق ـ **علي وجيه**

ينظر جود سعيد (1980) إلى ساعة حمص الشهيرة. يعطي تعليمات للفريق الفني، فيما يحدثنا عن أحدث أفلامه «مطر حمص» («المؤسسة العامة للسينما» وجهة خاصة) الذي انطلق تصويره أخيراً. يتأمل المكان الذي وقع الحرب، لتدخله الكاميرا متماهيةً مع ما بقي من بيوت وركام في حارات نالت شهرةً على مستوى العالم. «رائحة حمص اليوم تعيدني إلى بيروت الطفولة» يقول بألم، مستطرداً: «بعض من الموت يقوم بوخز نقاط كانت نائمة في الذاكرة. أستحضر الأبيض والأسود وأشياء كثيرة. اليوم فهمت لماذا سمّيت فيلمي الأول «مرة أخرى» للأسف». إذاً، يبدو المكان بطلاً أساسياً في الفيلم. يوافق شارحاً: «في الفيلمين الأخيرين، كنا صنّاعاً للمكان والسينوغرافيا من الصفر. في «مرة أخرى» كان جزء من المكان موجوداً. سينما العالم الثالث فقيرة عموماً. نخلق المكان حتى نصنع ما نريد، ولا نضطر إلى تطويع الإخراج حسب الموجود والمتاح. هنا نتعامل مع المكان كممثّل يفاجئك ويغيّر لك ما تصنع. تنشأ منه حكايا غير مخطط لها، وهذا ما حصل. هذا الركام مرتبط بتعاقب أجيال من السوريين. ساعة حمص، مثلاً، أحد أهم الأمكنة بقيت رغم كل شيء. هي مرتبطة بعودة الحياة والمدنيين لصنع الغد». نعلّق بأن الساعة مرتبطة باعتصام شهير أيّضاً، فيرد: «ولو اختلفت القراءات، لنتفق على أن الساعة معلم حاضر في الحدث السوري. لنشترك في هوية الساعة أقله». أعاد «مطر حمص» سعيد إلى المدينة القديمة، بعد تصوير بضعة مشاهد من «بانتظار الخريف» (لم يُعرض بعد) في «بابا عمرو» العام الفائت. الشريط يرافق شخصيات تعيش أزمة حمص القديمة بين شباط وأيار 2014، حين خرج المسلّحون وانتهى القتال. «يوسف» و«هدى» يحاولان النجاة وخلق الحياة وسط الموت والدمار، برفقة طفلين وشخصيات عدة. هي حكاية خيالية تستند إلى واقع الحرب، وتنطلق عبر الزمان والجغرافيا لرواية الأحداث السورية وفق مستويات عدة، تحتفي بالأمل والحياة والحب، وتحيل على تيمة «الهوية» الحاضرة في كل أفلام المخرج الشاب. يقول سعيد عن فيلمه: «عندما قرأت سيناريو «وقت للاعتراف» الذي كتبته سهى مصطفى، وجدت فيه عوالم يُبنى حولها فيلم خاص لثلاثة أسباب: رمزية حمص ودلالاتها في الحدث السوري، قدم المكان وعلاقته بتجذر الإنسان وارتباطه بالعمارة وطبقات الهويّة السوريّة، خصوصية الشخصيات وانتماؤها إلى مكوّن أساسي من مكونات هذه الهوية». إذاً، هي المرّة الأولى التي يستند فيها إلى قصة سواه. يعلّق: «هنا جواب لكل من يسأل عن سينما المؤلف. القصة ليست لي، ولكن تمّ تطويعها لتصبح قصتي الأصلية التي تنتمي إلى عوالمي. هذا لا يقلل من جهد أحد».

نعلم أن «مطر حمص» جزء من ثلاثية يُعدّ لها سعيد الذي يقول: «الجزء الثاني سيكون عن حصار المدنيين وخطفهم في ريف اللاذقية، والثالث عن الحصار المائي الحلبي. التيمة الجامعة هي رغبة الإنسان في العودة إلى الحياة، ومحاولة انتصاره على ما يُفرَض عليه. هذا جزء رئيسي من هوية أي مجتمع مقاوم بالمعنى الإنساني والثقافي والحياتي. التغيير القسري تحت مسميات جميلة وبرّاقة لا يعوّل عليه. التغيير الحقيقي يبدأ من انسحاب قناعة الفرد على الجماعة». لكن هل ستروّج هذه الثلاثية لبروباغندا طرف على حساب آخر؟ وهل تدعي رواية الحقيقة؟ يجيبنا: «لا أحد ينفرد بالحقيقة اليوم. سمعت الكثير من الافتراضات المسبقة عن الفيلم، ولأصحابها أقول: على من يمتلك كماً هائلاً من وسائل الإعلام ألا يخاف من فيلم. أقول قناعاتي وما أحب وما أرى، ولست بوارد الترويج لأيّ فكرة خارج ذلك. سأعيش مرّة واحدة، وسأقول ما أريد فناً وصورةً. إضافةً إلى ذلك، أنا لا أصنع فيلماً وثائقياً. هذه حكاية إنسانية تقول وجهة نظر. ليقل الآخرون ما يريدون. نحن لا نكذب، لكن نخاف أن نخدش وجه الحقيقة».

خلال تصوير «مطر حمص»

سبق سعيد إلى حارات حمص بعض زملائه كطلال ديركي في «العودة إلى حمص» (2014)، وأسامة محمد في «ماء الفضة» (2014) الذي أنجزه مع الشابّة سيماف وئام بدرخان. نسأله عن التجربتين التسجيليتين، فيقول: «على حدّ علمي، أسامة محمد مقيم في باريس ولم يأتِ إلى حمص. شاهد من عيني شريكته في العمل التي غادرت يوم خروج المسلحين. فيلم ديركي لم أشاهده، لكن علمت أن شخصيته الرئيسية بايعت «داعش» أو «النصرة». لم أشاهد الفيلمين، ولكن تمّ تصويرهما تحت سلطة مسلحي المعارضة، ومنهم متشددون. من هنا، لا يأخذن أحد علينا أننا نعمل تحت مظلّة وزارة الثقافة. أتمنى التوفيق لأسامة محمد.

عموماً، أكاد أجزم بأنني أعمل بحرية شخصية وبتحرّر من أي سلطة، لأنني لا أتردد في الإشارة إلى الخطأ، ولو كان في عيني».

في أسلوبية سعيد، يُلاحِظ ميله إلى اللقطات العرضية والعمودية مع اشتغال على الـ Mise en scène والديكور. هل هي هوية فنية لسينما الهوية؟ يوافق قائلاً: «هذا جزء من طريقتي في رؤية الأشياء. أنقل العالم كما أراه، وأقوم بتطويره ليلائم ما أحكي. أبني الإخراج وفق علاقتي بصرياً بالمحيط وطبيعة الحكاية وشخوصها. شخصيات أفلامي مأزومة، مثقلة بأبعاد نفسية، وشديدة الالتصاق بالأمكنة. هذا يمنح نوعاً من المتعة في تشكيل هذه العلاقة، ويتطلّب حركة الكاميرا التي ذكرتها».

في إطار التيمات والعناصر المرافقة للفيلموغرافيا الخاصة بسعيد، تحوم موضوعات الهوية والذاكرة والتمسك بالحياة والأمل. ثمة نوع من البراءة الطفولية حتى في بعض الشخصيات السلبية. يعلق: «تربّيت سينمائياً على الهويّات الفنيّة الذاتيّة التي تروي هويّات جمعيّة. أعتقد أن لبّ الفن هو أن تنقل الكون من خلال ذاتك للآخرين. كيف يمكن أن يكون الحاضر أكثر جمالاً، والغد أقل ألماً. في المقابل، أقرأ في بنية ما أصنع، وأظن أن أفلامي تقترح تحليلاً على قدر ثقافتي وسويتي المعرفية. فيلمي السابق «صديقي الأخير» لم يقترح معالجة رقيقة لتيمة الفساد. قال بوضوح إن الأزمة المجتمعيّة أنتجت أزمة عنفيّة لاحقاً».

مهرجان

البندقية تخذل إيناريتو... وترنو إلى «المهمشين»

البندقية ـ **محمد الأمين**

أعرق مهرجان سينمائي في العالم بحاجة ماسة إلى المفاجآت للحفاظ على النجاح الذي حققه في النسخة الماضية. منطق المقارنات ليس صحيحاً ما دام «مهرجان البندقية السينمائي الدولي الـ 71» في أيامه الأولى (يستمر حتى 6 سبتمبر). مع ذلك، فإن النقد الذي تعرّض له فيلم الافتتاح «الرجل الطائر» للمكسيكي أليخاندرو غونزاليس إيناريتو، سيؤكد أنه يصعب أن نتوقع له نجاحاً مشابهاً للنجاح الذي حققه فيلم «جاذبية» الذي افتتح الدورة الماضية، وحصد حصة كبيرة من جوائز الأوسكار، وأعاد الصرح الأعرق إلى أجواء التنافس على صدارة المهرجانات العالمية مثل «كان» و«برلين». صحيح أنّ «بيردمان» قدم مادة إعلامية جيدة من خلال جمع كوكبة من النجوم الكبار أمثال مايكل كيتون وإدوارد نورتون وايما ستون، إلا أنّ حظوظ المخرج المكسيكي كانت دون مستوى المنافسة على «الأسد الذهبي». يتناول «الرجل الطائر» أو «الفضيلة اللامتوقعة للجهل» حياة نجم سينمائي في منتصف العمر، يعاني من انحسار شهرته رغم أنه أدى في حياته الفنية دوراً بعنوان «الرجل الطائر» أكسبه نجومية واسعة، ويسعى إلى الحصول على دور جديد يعيد له المجد الغابر. لكن الشريط اكتظ بتفاصيل مملة لتشريح شخصيته المحورية بنفس ساخر تهكمي. صحيح أن إيناريتو صوّر أبعاداً عميقة في شخصية البطل وتناقضات حياته بصبغة سوريالية، لكن هذه الأبعاد مجتمعةً، هي ما أضعف بناء الفيلم، وجعلت حظوظ السينما الأميركية في نيل «الأسد الذهبي» تذهب إلى الأفلام الثلاثة الأخرى أبرزها «تسعة وتسعون منزلاً». خصّص المخرج الإيراني المقيم في أميركا رامين بحراني شريطه هذا للمهمشين اجتماعياً، وهم الشريحة التي يهتم بحراني بموضوعاتها وهمومها. يتناول بحراني قصة رجل أميركي يعيش مع والدته وابنه الصغير في مدينة نيو أورلينز، قبل أن يطردوا من الدار بسبب تأخرهم في دفع الإيجار. بعد عرض الفيلم، قال بحراني في مؤتمر صحافي: «هدفي كان التركيز على مشاعر الشخصيات، والرواية قد تحدث في بقاع مختلفة من العالم. وليس فقط في مدينة في فلوريدا، أي في كل مكان يهمين عليه الفساد الاقتصادي ويكون ذا طابع مؤسساتي منظم». الفيلم الأميركي الآخر المنافس على «الأسد الذهبي» يحمل عنوان «مانجل هورن» لديفيد غوردون غرين. ويؤدي آل باتشينو دور رجل مسن يعيش في بلدة صغيرة، يهتم بقطته ويتناول يومياً الطعام في مكان مختلف. لكن هذه ليست الصورة الحقيقية لمانجل هورن. إنّها مجرد قناع يضعه رجل ذو تاريخ أسود حافل بالجرائم. قبل أربعة عقود، تخلى عن امرأة أحلامه، من أجل مهمة كبيرة. وها هو في سن متقدمة يعيد التفكير في ذاك القرار. قصة حب عن أشخاص أضاعوا فرصاً في شبابهم كان لها أن تغير مسار حياتهم وتجعلها أقل مأسوية. «القتل المتقن» هو عنوان الفيلم الأميركي الآخر الذي يتنافس على «الأسد الذهبي» بتوقيع المخرج والسيناريست النيوزلندي أندرو نيكول. ويتوقع النقاد أن يعود إلى ثيماته الأساسية أي فضاء علمي تخيلي مع نافذة نحو المستقبل والمشاغل الدائمة للانسان، مثل الأبدية والعدالة.

مشهد من فيلم «بيردمان»

أما حصة الافلام الفرنسية في المسابقة الكبرى، فتبدو لافتة تفوق عدد الأفلام التي شاركت في «مهرجان كان». خمسة أعمال فرنسية تشارك في «البندقية» أبرزها «ضريبة الشهرة» لكزافييه بوفوا الذي يسجل عودته الى الإخراج بعد غياب أربع سنوات، أي منذ تحفته «آلهة وبشر». المخرج التركي فاتح أكين يشارك بفيلم «القطع» من إنتاج فرنسي ألماني ايطالي، وديفيد أولهوفن بفيلم «بعيداً عن الرجال»... ولا بد أيضاً من الاشارة الى فيلم

> يقارب أبيك فيرارا الأيام الأخيرة من حياة بازوليني

«بازوليني» للمخرج الاميركي الايطالي الأصل أبيل فيرارا. يتمحور الفيلم حول الأيام الأخيرة من حياة الشاعر والسينمائي الايطالي بازوليني الذي قُتل في ضواحي روما عام 1976. ثلاثة أفلام هي حصة البلد المضيف، والسينما الإيطالية لم تكن موفقة في السنوات الأخيرة في صيد الأسد الذهبي. مع ذلك فإن الحظوظ قائمة مع ثلاثة أفلام هي: «القلوب الجائعة» لسافيريو كوستانزو، و«Anime Nere» لفرانشيسكو مونزي الذي يتناول حياة أعضاء عصابة. ويتنافس ماريو مارتوني على الأسد الذهبي بفيلمه الجديد «Il giovane favoloso» الذي يدور حول حياة الشاعر جياكومو ليوباردي.

في المسابقة الكبرى ذاتها التي يترأس لجنة تحكيمها السينمائي الفرنسي ألكسندر ديبلا، تتجه الأنظار الى «الليالي البيضاء لساعي البريد» للروسي الكبير أندريه كونتشالوفسكي، وفيلم «حمامة تحط على الغصن، دليل الوجود» للسويدي روي أندرسون وجميعها أفلام قوية ستتنافس على الأسد الذهبي. فيلم «حكايات» للمخرجة الايرانية رخشان بني اعتماد، يتنافس بدوره على الجائزة وبالطبع سيكون انجازاً كبيراً للسينما الإيرانية المستقلة إذا استطاعت بني اعتماد نيل «الأسد الذهبي» الذي سبق لمواطنها جعفر بناهي نيله على فيلمه «الدائرة» عام 2000. وثمة مَن يعتقد أنّ حظوظ المخرجة ضعفت في نيل «الأسد الذهبي» مع التصريحات التي أدلت بها في المؤتمر الصحافي. إذ قالت إنّ هدف الفيلم تسليط الضوء على الآثار المدمرة للحصار الاقتصادي على الشعب الإيراني، مشيرة إلى معاناة لأطفال المصابين بالأمراض الخطيرة ممن لا يجدون الدواء بسبب الحصار. في موازاة المسابقة الرسمية، تحضر الأسماء الكبرى خارج المسابقة، مثل الصربي الشهير أمير كوستوريتسا الذي يقدم فيلماً مع تسعة مخرجين، يقدم منظوره الخاص للإيمان الديني.

التوازن بين الأسماء الكبرى في عالم الفن السابع واكتشاف المواهب الجديدة وتوفير انطلاقة عالمية من منصة المهرجان، هي الاستراتيجية التي راهن عليها فريق عمل ألبرتو باربيرا للحفاظ على قدرة المهرجان في التنافس مع المهرجانات المرموقة، خصوصاً أنه يقع من حيث فترة انعقاده بين مهرجانين مهمين: «كان» العريق المتربع على القمة، و«تورنتو» الذي نجح في السنوات الأخيرة في استقطاب افلام تحظى باهتمام السوق الأميركية.